

# سِرّ الطِّفْلِ المَدَلِّ

قصّة بقلم محمد شحارة كرونة

شاهدت في السابق بحكم عملي في البوليس حوادث مثيرة : قتل . وجرح . ودهس . واصطدام . وكانت الحوادث تترك آثارها في نفسي الا ان الحوادث اليومية التي اشاهدها هنا فظيعة جدا : في القريتين « قبيه » و « غالين » شاهدت القتل اكواما من مختلف الاعمار : اطفال مهروسة رؤوسهم ! نساء مبعوجة بطونهن ! .. رجال مهشمة اعضاءهم .. تحت الانقاض ! وفي اطراف البيوت .

الحقيقة انها مناظر فظيعة ، ولكني اعتدت عليها حتى لم تعد تثير في الان شيئا حتى ولا قشعريرة كنتك التي كانت تهزني عند رؤيتي للدماء . انا اعرف ان اليهود - في مدينتي وفي كل مدينة شاهدتها في بلادنا - محتقرون . لا يجروون على رفع رؤوسهم أبدا . فكيف بهم هنا يفعلون كل هذه الامور؟! وكيف يستطيعون ان يملوا ارادتهم علينا - على الرئاسة - بل على المكتب الكبير في نيويورك؟! والاغرب من ذلك كيف يستطع هؤلاء العرب ان يصبوا عليهم وهم كثيرون .. كثيرون كالجراد؟! .. لن يستطيع احد .. ولن تستطيع كاسي الخامسة ان تفسر لي سر دلال هذا الطفل المنفطرس : اليهود ! وسر خنوع هذا الطفل العملاق : العرب! ..

ولن تستطيع كاسي الالف! .. ان تفسر لي لماذا ياتر المكتب الكبير في المدينة الكبيرة بأمر هؤلاء؟! ..

ولذا فاني أعد مغامرتي فشلا على فشل . سببت لي متاعب جديدة .. وانني اتطلع الى انتهاء مدة خدمتي لاعود الى بلدي . على انها - وظيفتي - زودتني بكثير من الحوادث والذكريات العجيبة كالاساطير .. بل اساطير تناسب عقلية الانسان الجديد !

✱

اول عهدي بالعمل طلبني ( الكوماندو ) كي اغادر القيادة الى القطاع الاسرائيلي حيث اذهب من هناك الى مقابلة اليهود بناء على طلبهم في بعض شؤون الهدنة . وكنت قد سمعت الكثير عن العرب واليهود ، ومآسي العرب ، وكان يتصل بي احيانا فلسطيني يعمل كاتباً ملحقاً بالجانب الاردني في لجنة الهدنة . حدثني كثيرا عنهم . وعن حياتهم التي يحيونها وعن ارضهم التي كانت لهم! .. وعن ابيه الشيخ الذي تركه ينزف في يافا .. واخته التي اضاعها هناك فلا هو يعرفها ميتة او حية ! ظلت في فلسطين ام غادرتها .. قصته مؤثرة .. واجدني اعطف عليه . كثيرا ما اتصل به بحكم عمله في اللجنة

لما وردت الاشارة بالتوجه الى القطاع الاسرائيلي - لأول مرة - شعرت بشيء لا احب ان اسميه خوفا حاولت ان اداريه امام الرئيس .

وخطرت لرأسي فكرة طارئة : اصطحب هذا الفلسطيني معي يؤنسني ويقتل هذا الشعور الذي احسسته ساعة تسلمت الاشارة . ومن ناجية

بالرغم من انني افرغت في جوفي الكأس الرابعة اجدني اعني كل شيء تماما ، ولن اتمل حتى ولو قدموا لي كل ما في النادي من مؤوس .. بيد انني احب ان اهذي .. ان احدث انسانا ما والمكان خال . والهذيان صفة تلازم السكرارى ومع ذلك فانا اصر ان حالي جيدة : فانا اعرف مثلا انني في النادي المحقق بقيادة الرقابة الدولية . ومنذ ساعة كنت احقق في حادث اطلاق .. وعمما قريب قد احقق في حادث آخر . نحن هكذا دائما ، نلبي الاشارات . وكان اليهود العرب اطفال يلعبون ونحن كبار نفص خصوماتهم! .. الامر لا يتعدى لعب الصغار : يطلقون النار ، وتسيل دماء ، وتمر سيارتنا وسط المعركة ، فيهدأ كل شيء ، ويغرس الرصاص ، ونضيف حادثا جديدا الى السجل الضخم ، وينتهي التحقيق .. ليستمر من جديد في اي وقت اخر ، ومن صفات خصومات الاطفال ان المعتسدي يكون قويا ، او مدللا ، يستغل قوته او تدليله ومكائنه ليقاتل ضعيفا منبؤدا .. كذلك الامر بالنسبة للعرب واليهود! ..

ما من مرة قمت بتحقيق الا وكان اليهود فيه هم الطفل المدلل ، والعرب هم الطفل الضعيف .. ودلال اليهود يتقلب احيانا الى غطرسة يظنون معها ان الامم المتحدة بعثتنا عبيدا لهم ! ولذا فهم يتعجرفون . وقصد يطرودنا في اي تحقيق تقوم به ولا يرضيهم! .. مرات كثيرة اطلقوا النار على سيارتنا .. ومرة حاولوا ضربني ..

ومما يثير الحنق انهم يستطيعون ان يلعبوا بنا كيف يشاؤون : لم يعجبهم مسلك ( الكوماندو ) رئيسي السابق . وانهموه بالتحيز للعرب لانه قوي . ولانه صريح . ولانه يرفض محاباتهم . فشكوا امره الى الرئاسة ونقلته الامم المتحدة من فلسطين الى كوريا مراقبا هناك .

✱

في الاشهر الاولى لقدمي الى فلسطين تبينت انني لن استطيع الاستثمار في عملي . وانا عندما عزمت على السفر الى هنا اعتبرت الامر دواء شافيا لي ينسيني فشلي وينسيني ( آيلنا ) ويتيح لي ان اغير جذريا حياتي واطلع على انماط جديدة من العيش ، ولكنني كنت مخطئا .

نسيت ( آيلنا ) حقا ، فاصبحت مجرد امرأة عادية كهؤلاء اللواتي يرتبمن في اي وقت بين احضان زملائي الضباط . رأت من اهو احسن مني - في نظرها - فاخترته وخاتنتني .. ومع ذلك لا احب ان اسمي الامر خيانة لاني لم ارتبط معها بشيء في السابق .. على العموم رأت من يقدم لها برادا وبيتا ايضا وسيارة جميلة فاخترته ، وكانت على حق لان دخلي آنذاك كرجل بوليسي عادي لن يؤمن لها كل ما تريد .

واما الانماط الجديدة من الحياة التي اطلمت عليها منذ التحقت بسلك المراقبين الدوليين فكانت عجيبة تثير الحنق والاشمئزاز ، وتثير ، الى جانب هذا وذاك ، زحمة من الانفجالات المتباينة! ..

ثانية فهو يتهلل - ولا بد - لتحقيق مثل هذا الحلم ولن يفوته أبدا .  
عندما تخطر في رأسنا فكرة ما فان عاملا خفيا ، دافعا لا نعرفه ، يتولى  
ترتيب الامور وحلها حلا معقولا ..

وهذا ما حدث عندما راودتني فكرة اصطحابي للفلسطيني : مجرد فكرة  
لم ابحث لها عن حل .. لم يكن ثمة حل عندما ولجت غرفة الرئيس كي  
أخذ تصريح المرور ومهمات ضرورية اخرى . وعند انتهاء المقابلة قلت  
للرئيس فوراً ، وكان ذلك هو الحل للمشكلة الطارئة :

- سيدي . اريد بطاقة صحفية وشارة مرور

- لمن ؟ هل من الصحفيين من سيرافقك ؟ . ثم انك ستنام هناك اذا  
انقضى الامر .

- اجل يا سيدي هناك صحفي عربي سيرافقني .

كذبة كبيرة لا ادري كيف دبرتها !..

- عربي !.. ان هذا مخالف للوامر .. الا تعرف انهم ممنوعون من  
دخول فلسطين ؟

ولم اجب انا فقد اخرجت، بل اجاب عني هذا العامل الخفي الذي اتحدث  
عنه .. هذا الشيء الذي يتولى تقديم الحلول المناسبة لفكرة ما تطرا  
لانسان :

- اجل يا سيدي . ولكنه مراسل دولي لصحيفة فرنسية .. انا  
ادخله بصفته مراسلا لا بصفته عربيا .

وبدا انه اراد ان يقتنع .

- ليكن ما تريد ...

ثم اضاف وهو يسلمني البطاقة وشارة المرور : « أرجو الا يسبب  
الامر بعض المتاعب . على كل حال انا اثق بك .. »

وادرت السيارة باتجاه القطاع الاسرائيلي بعد ان اصطحبت معي (سعيد).  
لم يصدق اول الامر . نظها مزحة . ولما لمس الجديدة في قلبي تغيرت  
نظرتة .. وفرفراه اراد ان يقول لي شيئا لكنه لم يفه بكلمة واحدة .  
وقرات في قسماته معاني الامتنان واللهفة .. ظل صامتا . وعند النقطة  
الاسرائيلية فتحوا لنا الطريق وقادتنا «سيارة جيب» الى الفندق الذي  
ساقابل فيه ضابطا اسرائيليا .

وفي الفندق اعتذر الضابط عن اصطحاب (الصحفي) ! الى حيث  
سنذهب ولما افهمته انه دخل بعلم القيادة وامرها زعق في وجهي :

- طلبناك انت ولم نطلب صحفيين . طلبنا مراقبا دوليا .. سيبقى

## روايات وقصص

الاعلام لخليل تقي الدين  
صحون ملونة لرئيف خوري  
ليلة القدر لاحمد مكي  
في قصور الخلفاء لصلاح الدين المنجد  
أوسكار وايلد لالياس أبو شبكة  
منشود لنسيب عازار

دار المكشوف ، بيروت

في الفندق ريشما نعود .

قلت يانسا : « لا بأس . دعني احادثه قليلا » .

الواقع انني خفت من شيء ما وتذكرت كلمات الرئيس « أرجو الا  
يسبب الامر بعض المتاعب .. على كل حال انا اثق بك » .

يثق بي . ان الثقة مسؤولة جسيمة ، وهؤلاء اليهود اوباش لا يوثق  
بهم ، قد يفعلون كل شيء . الا تراه الان يزعق في وجهي ، هذا النذل !  
بودي لو كنت اصادفه في بلدي اذن لدست رقبته . وعندما انتحيت  
بسعيد جانبا قلت له :

- ستبقى هنا في الفندق . أرجوك : لا تحاول ان تفعل شيئا وقدر  
موفقي . على العموم هم لا يعرفون عنك الا انك صحفي تابع لنا . هذه  
الصفة تعطيك ضمانا ممتازا .

وابتسمت له وانا اشد على يده بسمة باهتة صفراء .

\*

عندما كانت السيارة تنطلق بنا - انا والضابط اليهودي - فسي  
الصحراء كنت نهبا للمخاوف فانا وحيد وهؤلاء غدارون . واذا فتلونسي  
فماذا تفيدني هيئة الرقابة ؟ هل يضمنون الى سجلهم الكبير شكوى على  
غرار الشكاوى العربية ، ام احتجاجا شديد اللهجة ؟.. ثمة امر ثان كان  
يشغلني : سعيد ومشكلة قد تحدث . ولت نفسي كثيرا وحاولت ان اهون  
الامر او انساه فقطعت الصمت الثقيل بسؤال اليهودي :

- ما الحادث ؟ لماذا استدمعتموني ؟

- سنتسلم جثتي متسللين عربيين قتلنا البارحة .

ولعنت اليهود والعرب في سري . هل يعتقد هذا الحيوان انني خادم  
ايه لانقل له جثث القتلى : كالقصاب تماما ؟ وماذا أفعل بها ؟ وماذا يفعل  
بها الرئيس ؟ انا العن حظي والشيطان الذي سول لي ان اقدم بنفسني  
الى مهنة قدرة كهذه !

لا ادري بالضبط ما الذي جعلني اشعر انني مغلوب : فهرني الحظ .  
وقهرتني ( الينا ) وقهرني اليهود . والمغلوب يترك لافكاره العنان لتعوض  
له خسارته وتظهره بمظهر اليق ، على الاقل ليرضي نفسه . لذلك رحنت  
اتصور انني رئيس للمراقبين كي افهم هؤلاء الكلاب حقيقة امرهم .  
والمغلوب يحن الى المغلوب دائما . ولذلك شعرت بمطف نحو العرب هؤلاء الحائنين على  
حنالة البشر : تصورت ان اصطداما قد وقع ، وانني تدخلت ، وان العرب  
رفضوا الانصياع لاوامري ، ولم يتوقف الاطلاق من جانبهم ، وانني انسحبت  
مسرورا بالرغم من ان في الامر تحديا لاوامري . وان اليهود سحقوا  
تماما .

لما تسلمت الجثتين وعدنا الى القدس شعرت بارتياح نسبي ، الا انني  
بقيت مشغولا من ناحية سعيد . ارتحت نسبيا لان احلامي - احلام  
المغلوب - قد تحققت على شكل ما : هذان المتسللان خربا جسرا كبيرا .  
وعملهم هذا دليل على انهم لم يسكتوا . ودليل على انهم لن يسكتوا ،  
لن يظلوا خائنين - اعني العرب - واذن فاحلامي تتحقق على صورة ما ،  
ترضيني ، ولا يستبعد ان اصبح رئيسا لهيئة الرقابة .

وكما ان احلامي قد تحققت على صورة ما ، فان مخاوفي من ناحية  
سعيد قد تحققت ايضا : دخلنا الفندق فهرع مديره اليهودي المكروش  
يعسوي :

- سيدي ، لقد انتحر الرجل .

وحملت في لا شيء . لا اصدق . لماذا انتحر؟! انهم قتلوه .. أين هو . وانتابني اعياء مفاجيء وارتيمت على اقرب مقعد لاستمع الى المدير يشرح للضابط اليهودي في خوف .. اجل لقد كان خانفا :

- لقد طلب ان يرتاح في غرفة فاخذته الى الدور الاعلى وطلبت من (سمر) ان تسهر على راحته . وانقضت مدة سمعتها بعد تناول وتصبح . وصعدت لاجد ( الرجل ) قد انتحر . قد قطع وريده .

بقيت تلك الليلة هناك . وتذكرت كلمة المدير ثانية « انك ستنام هناك اذا اقتضى الامر » والكلمة الاخرى « ارجو الا يسبب الامر بعض المتاعب .. على العموم انا اتق بك » اردت ان اضحك . و اردت ان ابكي .. ولكنني نسيت كل شيء : تماما . وفي الصباح سمحوا لي بالذهاب بعد ان استكملوا التحقيق .. لا الوم أحدا . انا السبب في كل ذلك .

وجملت معي ثلاث جثث - المتسللين وسعيد - . كل ما علمته ان سعيد انتحر عقب دخول الفتاة ( سمر ) اليه . وان ( سمر ) هذه فتاة ( عربية ) تعمل في فندقهم ، يقدمونها للزبائن كما تقدم الخمر - عامل لذة فقط - وانهم كانوا يريدون ادخال السرور الى قلبه ... وحملوني اسفهم للحادث .

وفي مكتب الرئيس استقبلني بعاصفة شديدة من التقرير واللوم والتعنيف وانا لا احير جوابا .

- هذا ما اجنيه من وراء رغباتك : تعب ووجع رأس! كيف وافقتك؟ لست ملاما ... انا السبب . انني لا اطيق سكوتك . ومع ذلك فاني لا احب ان الحق بك ضررا بامكاني فعله ولكنني سأتلافى الامر .

وعندما فتح سجله الضخم قيد اسم سعيد مع المتسللين . عده متسللا آخر ! ما أهون تعداد القتلى في سجلنا الضخم ، وما أهون تلافي الامور العقدة !! ..

ونظرت الى الرئيس وفي عيني كلام :

- متسلل . هل هذا ما ستقوله لهم ؟

وكان جوابه نظرة حازمة من عينيه الحادثين :

- دع الامر لي . هذا ما اريد ..

وعندما سحبت شارة المرور والبطاقة الصحفية من جيب سعيد الفارغ قبل ان يسلم مع المتسللين الى السلطات العربية وقفت على السر الرهيب الذي كلف سعيد حياته :

كانت صورة لشيخ وطفلة في حوالي العاشرة شديدة الشبه بالفتاة ( سمر ) وعلى ظهرها كان قد كتب عبارات مؤثرة عرفت منها اسم ( سميره ) !! ..

واذن سمر اخته ! يا للشيطان !.. لقد قتل نفسه!.. من الاسرار ما تكلف غالبا !.. قال الكومندر وهو يقلب الصورة أسفا :

- انت المسؤول حقيقة عن مصرعه .. هل تشعر بذلك ؟!

والواقع ان تقرير ( الكومندر ) انتهى ليبدأ تقرير الضمير : لقد اتيت من مدينتي البعيدة لاشراك في قتل الابرياء !..

ومضى زمن . وبدأت وطأة الامر تخف تحت ضغط الصور والمشاهد الوافة : ان سعيد يشكل واحدا من مئات يصرعها رصاص ( المتقاتلين !.. ) في كل يوم تبرغ شمس .. وأنا لم اقصد قتله ابدا . ثم ان هناك حالات عنيفة ومؤلمة اكثر واكثر

الجميع يعرف . والرئيس يعرف انني اشد المراقبين ضيقا بمهنتي : انا لست خادما لنقل الضحايا ولست قصابا كذلك !.. ولا جئت لالبي رغبة فقرة ( لطفل مدلل متعرج ! ) ولم احضر الى هنا لاسجل في السجل الضخم عدد الضحايا في كل يوم .

متى تنتهي خدمتي ؟!

احد امرين احب ان يتحققا : ان تنتهي خدمتي غدا !

او ان ينهمر الرصاص ولو مرة واحدة من جانب العرب ولا يتوقف ابدا ! ولا ينصاعوا لوامرنا ! انا لا اهذي .. وامنياتي قد تتحقق .. كاسي السابعة في يدي واشارة من المكتب تنطلق . اجل اسمعها ولكنني لا آبه للامر . الليلة ليست نوبتي .. الصوت يستمر . الاشارة تنفق .. الزعيق يتعالم . هل هو استنفار ؟

آلو .. آلو .. جميع مراقبي الهدنة الى سياراتهم .

اسمع .. انه نداء من المكتب .

آلو .. آلو .. جميع مراقبي الهدنة الى سياراتهم . سنتجه نحو القطار المصري . فتح العرب النار منذ نصف ساعة ورفضوا التوقف .

آلو .. آلو ..

النشوة تعمر رأسي .. ليست نشوة الخمر على كل حال .

هي نشوة الذي يتمنى وتحقق امنياته على صورة ما .

يبدو ان الطفل العملاق لم يعد خنوعا .

محمد شحاده كرزون

حلب

للتدريس في الصفوف الثانوية  
تقدم

## مجلة التأليف المدرسي

● المطالعة التوجيهية

وهي سلسلة من اربعة اجزاء في المطالعة والادب . وتشتمل على دروس مختارة من اروع الادب العالمية ، وفصول في علم النفس والاجتماع والتربية القومية والحضارة العربية .

تبويب موجه ، تحليل فني للدرس ، اسئلة في النحو واللغة والبلاغة والانشاء .

● التعريف في الادب العربي

سلسلة من جزأين ، تدرس تاريخ الادب العربي في اسلوب تحليلي مقارن .

تأليف الاستاذ ريف خوري

● اعلام الفلسفة العربية

اول كتاب من نوعه يشتمل على دراسات مفصلة ونصوص مبوبة مشروحة ، ويجعل من الفلسفة العربية مادة سائفة طلية واضحة . تأليف الاستاذين كمال اليازجي وانطون كرم .